

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الأول

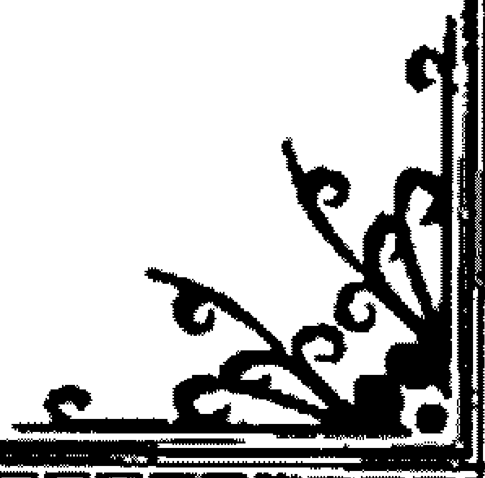
دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)




(١٠)
الخلـوة المطلقـة

- باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة - إن شاء الله - .
- باب الخلوة المطلقــة .
- مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها .
- باب ما جـاء : أن الأنبياء دينهم واحـد في هذا المقـام وفي بعض الأحكام ، فقد حصلت في الدائرة والحمد لله .
- مطلب في بيان الأكل في الرياضة .
- صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها .
- خلـوة الهدهــد .
- الخلوة الصمدانيــة .
- خلوة القــرين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات .

ونزه أسرارهم وخواطرهم فيها عن الجولان في ملكوت الأرض والسماوات .

ونصبها مثالاً لاحديته من أكثر الوجوه والجهات .

وجعل نعتهم فيها نعته في وحدانيته من عدم الحركة والالتفات .

وقدسهم فيها عن صفات القدم تقديسه في وحدانيته عن صفات المحدثات .

فهم فيها طالبون وجودهم في عينه طلبه وجودهم في عينهم ، إذ «كان ولا شيء[1]» ، فقابل سوراً بسور ، وآيات بآيات ، ومنحهم فيها أموراً يقرعون بها أبواب أهل التجليات المفنيات ، ويفتحون بها دروباً للتنزلات المنزهة عن حمل الملقيات المرسلات . خلع عليهم فيها من الخلع ما يقتضيه استعدادهم فيما يطابقه من الحضرات ، فإن الأرواح المنشئات بالنفخ الإلهي ، بين الآباء العلويات ، والأمهات السفليات ،

(١) قال رسول الله (ص) : «كان الله ولا شيء معه» رواه مسلم .

خرجت على صورة استعداد الأمهات ، وبه وقع التفاضل بين هذه الذوات ، فلا تجدها تكرر على شخصين : لما ذكرناه من اختلاف هذه الهيئات .

فلا يزالون في خلواتهم من تخليص هذه القلوب من علل تجليات الألوهيات الخيالية ، وإماطة ما يأتي به من الكشوفات الوهميات .

وهذا التجلي الوهمي ، هو الذي أدى بعض المخذولين ، المعدول بهم عن طريق الحق : أن يقولوا بنفي الغير والسوى في توحيدهم ، ثم يجعلون له لساناً وكلمات[١] ، فناقضت دعاويهم ، إذ كانوا : لا يدرون ، ولا يدرون أنهم لا يدرون ، وهذه أعظم الجهالات .

ومن هذا الموطن ـ بحكم هذا التجلي الخيالي ـ زل من زل اسفل الدركات .

ومنه : علا من علا : إلى الدرجات .

وهذه الألوهية الخيالية هي التي رأى ابن صياد[٢] عرشها على البحور الزاخرات ، مقابلاً للعرش الحقيقي : الكائن على الماء ـ كما ورد في الآيات ـ ، فأخبر النبي (ص) أن ذلك عرش إبليس : تقريراً للعرشين ، وبياناً للفرق بينهما عند أهل الفطر السليمة المستقيمة والإدراكات[٣] ،

---

(١) يعني ـ والله أعلم ـ كيف يقولون بنفي السوى ، مع أنهم يقولون : إن له لساناً يتكلم به ـ سبحانه وتعالى ـ عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) هو الدجال الذي ظهر في عهد رسول الله (ص) ، وأراد سيدنا عمر أن يقتله فقال له رسول الله (ص) : «أن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه ، فلا خير لك في قتله» ، وأخباره واردة في الصحاح ، والحديث له شهرة تغني عن تخريجه .

(٣) كل من كانت فطرته أسلم : كان إدراكه أكثر .

فسبحان من فطر الإنسان على العالم وعليه [1]، وجعل العين المقصورة غده [2]، فكانت الكائنات .

فمن ثبت قدمه في عبوديته ، بعد تحصيل هذه المعرفة من طريق الكشف ، فهو الخليفة : صاحب الأسماء والنعوت والصفات .

ومن زلت قدمه عن عبوديته في هذا المقام حلت به المثلات .

فالحمد لله : حمداً بعد حمد ، لما أسداه من جزيل المنح وجسيم الهبات العلويات [. . . وسلّم كثيراً] [3].

وبعد :

فإنك سألت أيها الولي العارف ـ عرفك الله تعالى مالا نهاية ـ [له] من المعارف : أن أقيد لك صورة الاستعداد الجامع الكلي ، الذي لا يتقيد باسم معين ، ولا بحضرة مخصوصة ، ولا بتجل مخصوص يوقف عنده ، ولا يتعدى لتلقي ما يناسب هذا الاستعداد الكلي ، من الأسماء المؤثرة وغير المؤثرة ، والحضرات المقيدة وغير المقيدة ، والتجليات العامة والخاصة ، والتنزلات الإلهية ، والاستنزالات الروحانية ، والإطلاع على الكائنات الغيبية ، في الحركات الدورية ، وتوالج العوالم ، ومشاهدة كل عالم في مقامه المعلوم ، وشخصيات تجلي هذه العلوم في مراتبهم ، وصور المعارج والمدارج ، والنسب الرابط بين العوالم ، والتأثيرات السفلية من الحركات العلوية والبرزخية ، والتأثيرات العلوية من الحركات السفلية ، وخلق الملائكة والروحانيات العلى ، من الأنفاس الآدمية ، والحركات البشرية ، وتولد الأرواح من الأجساد ،

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، والفطر : الشق ، والخلق ، ومنه فاطر السموات والأرض .

(٢) العين : بكسر العين ، ولعله (رحمه الله تعالى) يرمز إلى الحور المقصورات في الخيام : بدليل قوله «فكانت الكائنات» .

(٣) هكذا هي في المخطوطة .

والأجساد من الأرواح ، ومشاهدة العالم المهيم والمسخر ، والمدبر ، والتحول والتبدل في الصور على اختلافاتها ، والاستكشاف على توسع الذات الإلهية ، لتنوع هذه الصور العرفانية الموقوفة على الجحد والإقرار ، وتنوع المشارب ، ونسبة الحق من العالم ، والعالم من الحق ، ومن أين تعلق العلم القديم الإلهي بالعالم ، والعالم معدوم .

وإسترسال العالم الواحد على ما لا يتناهي من المعلوممن غير تصور ، العلم التصويري ، والمعلومات المقصورة ، والمعلومات التي لا تتصور ، والوقوف على مقام إحالة شهود العقل ، ومشاهدة المرتبة التي تفني الإمكان .

والمحال عدم محض[1] ، فلم يبق إلاّ الوجوب ، ومطالعة السريان الإلهي ، الذي يفني حكم القدر ، وهو توحيد الوجود ، ونفي الاختراع والخلق والتدبير ، وجحود الأسماء المؤثرة ، إلى أمثال هذا الكشف التام ، والأمر الذي كان به النظام ، مما يرى ولا يقال .

وسألت في ذلك سؤال عارف بالمصادر والموارد والمواقف ، لما علمت أنه ليس كل استعداد يعطي الأمر الكلي .

ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا على استعدادات مخصوصة : انتجت لهم أموراً معينة ، يُشار إليها ، ويقتصر عليها .

وأنفت همتك الشريفة عن الاقتصار على ما وقف عليه هؤلاء ، وإن كانوا سادات وملوكاً ، ولكن أمير المؤمنين : واحد .

---

(١) لا يمكن وجوده ، لأن الله حكم بأنه محال وقضي فيه ، كما لو كان إنسان موجوداً فهو قابل للاعدام ، إلاّ أنه وقت وجوده استحال عدمه ، لأنه موجود، فلا يكون المخلوق موجوداً معدوماً في وقت واحد .

فاسمع يا أخي جواب ما سألت عنه وزيادة ، لينتفع بالزيادة غيرك إذا وقف على هذا الكتاب ، ممن لا يقدر على استعمال ما سألت عنه .

ولا تأخذ علي في ذلك ، فإن النبي (ص) سئل عن مسألة واحدة فأجاب وزاد .

فقيل له : يا رسول الله : أنتوضأ من ماء البحر ؟

فقال (ص) : «هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته»(١) .

فزاد تحليل الميتة ببيان وإيضاح .

سألت عن الخلوة المطلقة ، ولم تسأل عن الخلوات المقيدة ؟

وأنا أجيبك على ما سألت ، وأزيدك من الخلوات المقيدة : ما تيسر ، فإنها كثيرة جداً ، ولا أجعل للخلوة حداً زمانياً معلوماً ـ كما وقفت عليه لبعضهم ـ إلّا الخلوة الصمدانية خاصة في هذا الكتاب ، فإن حدها بالزمان لخاصية فيها(٢) .

وما حد من حد الخلوات بالزمان إلّا على حسب ما وجد ، فأخباره عن وجد صحيح ، وهو مخطىء في طرد الحد الزماني ، فإن الأمزجة تختلف ، وفراغ قلوب العباد من الكون ليس على مرتبة واحدة ، وإنما هو على قدر الباعث والطبع المساعد .

فقد يفتح لواحد في يومين ما يفتح لآخر في شهرين ، ولآخر في سنتين ، ولا يفتح لآخر أبداً .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود والنسائي ، والإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة والإمام أحمد ، وابن حبان وابن ماجة والحاكم عن جابر ، ورواه ابن ماجة عن الفراسي .

(٢) ذكر الشيخ (رحمه الله) أنها ثلاثون يوماً ، وسيأتي كلامه عنها .

وقد يؤهل واحد للإلقاء والتنزيل ، وآخر لكشف الحقائق ، وآخر ما يتعدى به الخيال ، والمثال ، وكل له مقام معلوم ، وحد مرسوم ، تقتضيه جبلته .

والحد الزماني في الخلق : لا يتصور .

وكذلك الجوع والأغذية : تابعة للمزاج ، فلا تتغير تخصيصاً .

ولكن يُقال «بأمر كلي» فهو أمر يعطي صاحب الخلوة ما يلائم طبعه ، ويؤمن بالقليل منه حتى يرد الفتح على الاعتدال ، ولا ينحرف المحل إلاّ لسلطان الوارد ، فإن الإنحراف بغير وارد سبب قاطع لحصول الخيال والأوهام ، وشهود ما ليست له حقيقة .

وكذلك لا أذكر ما يكشف له من الخلوات ، لوجهين :

الواحد لتعلق النفس بما سمعته ، واستعدادها لتحصيله ، فقد يسبق له التجلي الخيالي قبل الحقيقي ، فيقول : قد حصل المطلوب وما حصل على طائل ، فإن الخيال لا حقيقة له في نفسه ، لأنه ليس بعالم مستقل .

والوجه الآخر : إن النفوس غير متساوية في أصل النشيء ، فإنها بحسب تركيب البدن ، وقبوله للنفخ الإلهي ، من الروح الأقدس ، فقد تنقص نفس عن نفس ، وقد تزيد ، وقل أن تتساوى ، بل هو محال ، لكن تقرب .

وإن كنت فطناً لما ذكرنا فانظر اختلاف الأغراض في الناس ، واختلاف الشرائع باختلاف الأوقات لاختلاف الأشخاص ، [لاختلاف الأحوال] لاختلاف الحركات العلوية ، لاختلاف التنزلات ، لاختلاف التجليات وفي الشريعة الواحدة من المشرع الواحد تجد ذلك ، فهو الذي منعني من ذكر نتائج الخلوات ، فإني ما أصف سوى ما وجدت .

ما من نبي إلّا واستعد ، وخلا مع ربه[1] .

و ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾[2] تقتضيه الحضرة الإلهية ، فتقتضيه الفطرة التي خلق عليها .

فالواجب علينا : ذكر الداعي والاستعداد والتحصيل : لا ذكر ما يحصل .

---

(١) ومن المشهور المعروف أن النبي (ص) كان يختلي قبل البعثة بغار حراء الليالي ذوات العدد .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ .

باب فيما ينبغي أن يكون عليه صاحب الخلوة
- إن شاء الله -

ينبغي أن يكون : شجاعاً ، مقداماً ، لا يكون جباناً خواراً .

فإن كان حاكماً على وهمه ، غير مقهور تحت سلطان تخيله ، زاهداً في كل ما سوى مطلوبه ، عاشقاً لما توجه إليه ، على ما يقويه من قوة الأمور القواطع ، التي بين يديه ، نافذ الهمة ، مصدق الخاطر ، ثابتاً عند زعقة عظيمة ، أو وقع جدار ، ومفاجئة أمر مهول ، غير طائش ، كثير السكون ، دائم الفكر ، غائباً عن أكثر الحالات ، ساهياً عن لذة المدح ، وألم الذم ، صاحب قوت طيب[1] .

[ومعنى قوت طيب : لا يجد في نفسه عند أكله أثر ريبة] من باب الورع .

قال بعض أئمتنا : «ما رأيت أسهل من الورع : كلما حاك في نفسي له شيء : تركته» .

وهو قول النبي (ص) :

«دع ما يريبك إلى ما يريبك»[2] .

---

(١) يعني حلال ، ولذلك فسره بما بعده .

(٢) رواه الإمام أحمد عن سيدنا أنس ، والنسائي عن سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب =

قائماً بما يحتاج إليه من أسباب خلوته : لا يتكلف له أحد ذلك[1] ، فحينئذ له أن يدخل الخلوة .

وإن لم يكن على شيء من هذا ، فلا سبيل له إلى الخلوة ، لكنه يستعمل العزلة ، ويدرب نفسه ، ويهذبها ويروضها بما ذكرنا ، إلى أن يعتاده ، فإن الخير عادة[2] .

فإذا حصل هذا الأمر : دخل الخلوة إن شاء الله تعالى ـ أي خلوة شاء ـ : عامة أو خاصة .

وليقدم صاحب الخلوة بين يديه صدقة : إن كان له شيء .

ولو لم يكن له سوى ثوبين : يتصدق بأحدهما ، أو ثوب واحد ، يمكن أن يباع بثوبين : يستبدل له بغيره[3] ، ويتصدق بما فضل .

= والطبراني عن وابصة بن معبد ، والخطيب عن عبد الله بن عمر ، والإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن الحسن ، وابن قانع ، وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن عبد الله بن عمر .

(١) يعني : لا يدخل الخلوة ، وهو متكل على أن الناس يطعموه ، فإن هذا مخالف للشرع كما قال النبي (ص) لما سأل عن الرجل العابد «من يعوله» ؟ قالوا «كلنا» قال : «كلكم أعبد منه» .

(٢) يعني إذا فعلت الخير مرة ومرة ومرة ، ثم داومت عليه : أصبح طبعاً عندك لا تكلف فيه ، والخير الكبير : أن يصبح الخير عندك طبيعة .

(٣) كما لو كان عنده ثوب من الثياب الغالية الثمن مثلاً ، من الممكن أن يبيعه بثمنه ، ويشتري ثوبين : أحدهما له ، والآخر للصدقة ، وقد سئل رسول الله (ص) عن أفضل الصدقة فقال : «جهد المقل» رواه أبو داود والحاكم .

باب الخلوة المطلقة

أيها السائل : هيأك الله سبحانه لاستعداد ما سألت عنه واستعماله .

لتعلم أنك لما سألت عن الاستعداد الكلي : لم يتمكن لي أن أخص به صاحب شرع التنزيل ، من صاحب شرع الكون .

بل نمشي الاستعداد على حسب ما تعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفائها ، وتخليصها لما ذكرناه من هذا الأمر الكلي الذي يقع فيه التفصيل بالعوالم والأسماء ، وعلى حسب ما تقيد به أيضاً من الأمور الشرعية المنزلة عن الأمور والمشيئة ، فأقول :

إن لم يكن صاحب شريعة أمر منزل ، وكان صاحب شريعة : مشيىء أو مطلق ، فلا بد من أن يلتزم موافقة ما تواطأت عليه النفوس من مكارم الأخلاق ، وترك ذميمها وسفسافها ، ويقيس ما يفعل هذا من فعله ، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعي[1] المنزل ، فإنه «بعث لتتميم مكارم الأخلاق» .

---

(١) الأمر الشرعي هنا ـ والله أعلم ـ قول المصطفى (ص) : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالداخل تحت هذا الأمر الشرعي ملتزم يجب عليه الوفاء بما التزم به .

والحكم عندنا للأحوال[1] .

وحاله : ما ذكرنـــاه .

فـلا بد من الكشف : بـلا ريب ولا شك ، لأن الأحـوال تطلبـه ، لا العقائد والأقوال .

فتفـطن فيمـا ذكـرنـاه ، ولا تقتصـر في وجـود الحكمـة [لـدى][2] بعض الناس .

وإن كان فاعل هذه الخلوة قابلاً بالشرع ، معتقداً له ، قـائلاً بـه ، فليعلم أنـه منقسم بين : أفعل ولا تفعـل ، وإن شئت أفعـل ، وإن شئت لا تفعل .

فـأما قسـم : لا تفعـل : فامتثله مـطلقاً من غيـر تـوقف ولا حـديث نفس ، ولا تردد[3] .

وأمـا قسم : إن شئت ، وهو المبـاح ، فـانـظر إن كـان فعله يؤدي إلى أن يكون صاحب خلق عظيم شرعاً فافعله .

وإن كان يؤدي تركه إلى ذلك أيضاً فاتركه .

وأمـا قسم : أفعـل ، فـامتثله إمتثـال مـائس بنفسـه ، خـائف من شرورها[4] .

وذلـك بأن تـطمعها في نتـائج ذلـك الفعـل ، بمـا يكـون لهـا من

(١) يعني لكل حال يحكمه .

(٢) الكلمة مطموسة في المخطوطة .

(٣) لقول المصطفى (ص) : «إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا» .

(٤) من قول المصطفى (ص) : «أن هـذا الدين متين . فـأوغل فيـه برفق ، فـإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهـراً أبقى» ، رواه البزار عن سيـدنا جـابر ، والإمـام أحمد عن سيـدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه وعن جميع الصحابة)

الشفوف والاختصاص بدرجة الكمال على جنسها[1] .

ثم أعرف ما يستحق كل عالم من الحيوان الناطق ، والنبات ، والجماد ، مما ينبغي أن يعامل به من الخلق الذي يوافق غرضه : إذا كان ذا غرض ، مع حفظ الشرع ، وهو كل الحيوان ، أو ما يوافق الحكمة في عالم الأغراض ، كالنبات والجماد ، وهو ترك العبث به .

فلا تقلع نبتاً ، ولا تفسد نظامه وترتيبه عبثاً لغير فائدة تعود منه على حيوان تجلب بذلك منفعة له ، أو دفع مضرة عنه .

كذلك لا تسل حجراً عن موضعه عبثاً .

والجامع في هذا كله : أن ترسل شيئاً من حواسك عبثاً .

هذا شرط لا بد منه ، فمهما زال انحل النظام .

ثم معرفة الذنوب ؛ صغيرها ، وكبيرها ، خفيها وجليها ، وإنسحاب التوبة عليها ، ورد المظالم المقدور على ردها ، من عرض ، ومال ، لا من دم[2] .

وتطهير عالمك الباطني من كل مذموم : شرعاً ، وغرضاً ،

---

(١) يعني بذلك أن النفس كالفرس الجموح تحتاج إلى رياضة وتدريب ، حتى تعتاد مثل هذه الأعمال .

(٢) روى الإمام أحمد ، والبيهقي والنسائي وابن ماجة قوله (ص): «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عزّ وجلّ في النار» ورواه الترمذي ، وقال (ص) فيما رواه الطبراني والبيهقي : «من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرىء مسلم : أن يهريقه ، كما يذبح دجاجة كلما تعرض لباب من أبواب الجنة حال الله بينه وبينه ، ومن استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلاّ طيباً ، فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه» .

وقال (ص) فيما رواه النسائي والحاكم :

«كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلاّ الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ، والأحاديث في هذا كثيرة ، والمقصود بالعرض : الشتم والسب وما إلى ذلك فإن هذه مقدور على ردها بالاسترضاء ، والمال يرده ، وأما استحلال الفرج الحرام فلا يستطاع رده ، وإن تاب توبة نصوحاً فأمره إلى الله تعالى .

وطبعاً ، وتقييده عن الجولان في عالم الكـون[1] ، وتفريغـه عن الفكر ، فـإن الفكـر أضـر شيء في هـذا الاستعـداد ، وفي جميـع الخلوات ، لا تصـح به أبـداً ، ولا يظهـر لصاحبهـا ثمرة صحيحـة إلاَّ بحكم الاتفاق ، فالله الله .

احفظ نفسك منه[2] .

وكـذلـك حـديث النفس ، وتصـرفـاتهـا في مـراتب الـكـون ، لا تساعدها على ذلك فإنه تمزيج وتخليط .

وليكن ذكرك الاسم الجامـع الذي هـو «الله ، الله»[3] ، وإن شئت «هـو ، هو»[4] لا تتعـدا هـذا الأمـر ، وتحفظ أن يفـوه بـه لسـانـك[5] ، وليكن قلبـك هو القـائـل ، ولتكن الأذن مصغيـة لـذلـك الـذكـر ، حتى ينبعث النـاطق فيك بـالذكـر ، فلا تتـرك حالـك التي كنت عليها ، فـإنها قوة عرضية ، إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة .

وأمـا قـدر مـا تلبس من الثيـاب ، فهـو : مـا يكـون بـه بـدنـك

---

(١) كن مع المكون بكسر الواو المشددة .

(٢) الضمير راجع إلى الفكـر ، لأن الكلام عنـه ، ولفظ الجلالـة المكرم : المكـرر مفعول لفعل محذوف ، تقديره : اتق الله ، اتق الله ، أو خف الله ، خف الله .

(٣) في كتاب «الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام» للغماري ص ١٠٧ ما نصه : قـال الشيخ محي الدين : ومن أراد أن يفتح عليه بـذكر هـذا الاسم الشريف «الله» فليتخـذ خلوة ، وليترك سائـر الأذكار والأوراد غيـره ، ولا يذكـره من حيث أنه يـدل على العين فقط ، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان ، ومن له الوجـود المطلق التام ، وهذا الشهود هو المعبر عنه بالبساط» .

(٤) الذاكر بلفظ «هو» يضمر في نفسه «الله» فيكون ذكره : «هو الله» وإذا رجعنـا إلى القرآن الكريم وجدنا فيه ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ﴿هو الله الذي لا إله إلَّا هو﴾ وعرفنا أن «هو» اسم إشارة ، واسم الإشارة في النحو معروف حكمه ، فالذين يعترضون على الذكر بـ «هو» اعتراضهم في غير محله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(٥) تحفظ بمعنى : احفظ : أي من أن تنطق به ، لأنه في هذه الحـالة ذكـر قلب : لا ذكر لسان .

معتدلاً ، وليكن من وجه لا يريبك[1] مثل الأكل سواء .

وليكن عندك حفاظ[2] نقي يباشر عورتك ، تغسله في أكثر الأوقات[3] .

ولا سبيل إلى الاضطجاع ، ولا إلى النوم إلاَّ عن غلبة .

ولتقدم أولاً قبل دخولك إلى الخلوة الأولى ـ أية خلوة كانت : مطلقة أو مقيدة ـ رياضة وعزلة عن الخلق ، وصمتاً[4] ، وتقليلاً من الطعام وترك شرب الماء جملة : أجد فيه ، فإنه يسير المؤنة .

فإذا أنست النفس بالوحدة والعزلة : عند ذلك تدخل الخلوة .

---

(١) بفتح الياء : أي ليس فيه ريبة ولا شبهة من حرام .

(٢) سراويل يحفظ فرجك ، وليس المطلوب هو ما يلبسه الناس الآن ، الذي لا يكاد يواري شيئاً ، فإن هذا من لباس الفرنجة ، ونسأل الله العافية ، وقد قال رسول الله (ص) :

«اتخذوا السراويلات ، فإنها من استر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم» رواه ابن عدي ، والعقيلي .

(٣) كان النبي (ص) ينضح سراويله بعد الاستنجاء ، ويحض على هذا مخافة أن يصيب السراويل من البول ما لم يكن الإنسان يعلمه .

(٤) أخذاً من قوله تعالى : ﴿قولي أني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً﴾ قال في القاموس «والصوم : الصمت» .

مطلب في بيان كيفية الخلوة وما يختص بها

ومما يختص بهذه الخلوة وبعض الخلوات : ألا يقتل حيواناً أصلاً : قملة ولا غيرها[1] .

وإذا خفت من الهوام في رأسك ، فاحلقه ، وليكن عند دخولك في الرياضة ، وقبل أن يتكون فيه حيوان .

ولتستعد[2] ثياباً تستبدلها في أكثر الأوقات ، قبل أن يتعلق بها حيوان ، فيشغلك .

وذلك : ما دمت تحس بنفسك .

فإن شغلت عن هذا كله ، فهو : المطلوب .

ولا تقعد ساعة دون طهارة .

والأساس كله على : التوجه لله تعالى بالتوحيد المطلق ، الذي

---

(١) أخذه من مناسك الحج ، فإن الحاج مقبل على الله ، فلا يشتغل بشيء مطلقاً ، وإن خاف شيئاً من ذلك فليدخل نظيفاً تماماً حتى لا يشغله شيء عن الله : دق أو جل .

وإلا فليس هو في خلوة ، بل هو في «سهراية» تحت أشعة الشمس : للتفلي ، وقد ذكر لك العلاج من ذلك (رحمه الله تعالى) في الجملة التي بعد هذه .

(٢) بمعنى : أعد .

لا يشوبه شرك ، خفي ولا جلي[1] ، ونفي الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلاً ، عقداً جزماً ، فإنك إن حرمت هذا التوحيد ، فلا بد من الشرك ، فقد تتآدى من الشريك[2] وهو كون[3] ، فلا يلوح لك أمر كلي أصلاً ، وينحل النظام .

وتحتفظ من الشرك والشك والتعطيل ، فإنه يناقض المطلوب .

ويكفيك ما سامحتك به من شرع الكون[4] ، وإن كنت عليه ، فهذا هو سبب دخولك في الشرع المنزل[5] ، فإنك إذا كشفت الحقائق : لا تقدر على جهل ما علمت ، وانكار ما شاهدت ، فلهذا سامحتك بشرع الكون ، لمعرفتي برجوعك إلى الحق ، ووقوفك عند الأذن الإلهي ، فاشترطت التوحيد ، وهو الباب الأول الإيماني ، فإنه قال : «قل لا إله إلاَّ الله» لأهل الشرك والشك[6] .

---

(١) فيه الرد الكامل على ما يزعمه بعض الذين دأبوا على تكفير عباد الله دون حياء من الله تعالى .

(٢) في القاموس أدي فهو مؤد : قوي ولعله يقصد ـ أي يصيبك منه قوة فلا تصلح لما أنت فيه ، هذا ما عن لي ، والله تعالى أعلم ، وقال (رضي الله عنه) في بعض كتبه ـ عند الكلام على قول رسول الله (ص) ـ إني لست كأحدكم ، إنما أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني «إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء ، فأنا لست كأحدكم» المركوب يقطع به المسافات ، والدليل يستدل به على الجهات ، منزه عن الحدثات ، لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات ، فمن عرف المعاني عرف ما أعاني» .

(٣) أي تكون هذه الأشياء التي ذكرها (رضي الله عنه) من الشريك .

(٤ ، ٥) شرع الكون : ما يلزمك من أكل وشرب ولبس وغير ذلك مما لا بد منه .

والشرع المنزل هو : ما شرعه لك الله تعالى ورسوله (ص) .

(٦) فإن المؤمن قد شهد أن لا إله إلاَّ الله ، واستقرت في قلبه ، وأما المشرك فإنه يجاهد ـ بضم الياء وفتح الهاء ـ حتى يقولها ويشهد بها ، ويؤدي مستلزماتها من صلاة وصوم وحج وزكاة وغيرها .

وقول المصطفى (ص) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاَّ الله» دليل واضح على ذلك والله تعالى أعلم .

فـإنه من لم يثبت غيـر الله تعـالى : لم يقـل لـه : أنفـه ، فـابتنـاء أساس استعدادك : على أول الأبواب الإيمانية .

فهذا معنى ما ترجمه البخاري [١] .

(١) قال البخاري في أول كتاب الإيمان : «وهـو قول وفعـل ، ويزيـد وينقص» إلى آخر مـا قال (رحمه الله تعالى) .

باب ما جاء : أن الأنبياء دينهم واحد في هذا المقام وفي بعض الأحكام ، فقد حصلت في الدائرة والحمد لله

والصمت : شرط لازم ، لا بد منه .

وأما الأكل فحده : ما دمت تدبر نفسك : ألا تجوع الجوع المشغل(١) .

ولا تشبع الشبع المثقل(٢) .

ولا تترك الطبيعة تتغذى(٣) منك .

ولا تترك عندها فضلاً عن الوقت ، حتى يكون آخر خلاء المعدة أول تحصيل الغذاء ، وهو قول رسول الله (ص) :

«حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»(٤) .

---

(١) أي الذي يشغلك عن العبادة والذكر .

(٢) الذي يثقلك فينيمك ، فإنك ما دخلت الخلوة لتنام .

(٣) ذلك أنك إن لم تأكل أكلتك .

(٤) ونص الحديث : «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وإن كان لا بد فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» رواه الترمذي وغيره .

ولكن من وجه لا يريبك[1] ولا يتضرر فيه مخلوق بكلفة[2] .

ولا سبيل إلى أكل حيوان البتة[3] ، ولا أن تسخر لك في غدائك سواك[4] ، بل تستعد[5] غداءك لخلوتك بيدك[6] ، ولا يتصرف في تحصيله غيرك : البتة .

وإن جهلت مزاجك ، فاعرض نفسك على الأطباء ، فهم ينظرون في الغذاء الذي يلائم طبعك ، ويصلح بمزاجك ، ولتقل لهم ما تريد أن تفعله في التقليل وعدم الفضول من أجل التصرف والحركات والثقل المؤدي إلى النوم والكسل ، فهم يركبون لك غذاء تبقى عليه الأيام الكثيرة لا تحتاج فيها لغذاء ولا لبراز .

وإنما لم نعين في هذه الأوراق غذاء مخصوصاً لما ذكرناه من اختلاف الأمزجة .

---

(١) أي وجه لا شبهة فيه ، وقد قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) : «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام» .

وربما يقول إنسان : ما لهذا وذاك ، فأنا نقول : ترك الشبهة عند الصحابة إلى هذا الحد ، وترك الشبهة عندنا نحن : أن نتقي ما يؤدي إلى الحرام ، والبون بيننا وبينهم (رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم) :شاسع ، والفرق كبير ، فهم خيرة الله لخير خلق الله تعالى (ص) وصحبه وسلّم .

(٢) فإنك إذا دخلت الخلوة ، وتصدق عليك الناس بالطعام : فهذا ضرر ، وربما كان في نفس الذي أتاك بالطعام شيء ، فيكون تكلفاً ، ويكفيك قوله تعالى : ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ [سورة ص] ، والتكلف هو : اصطناع الإنسان ما ليس من طبيعته .

(٣) لأن أكل اللحوم تؤدي إلى قوة شهوة الجماع .

والخلوة إذا جامع فيها المختلي فسدت ، فإن المعتكف لا يجامع النساء ولا يأكل إلاّ الضرور الذي يقيم الأود .

[راجع باب الاعتكاف من كتب الفقه]

(٤) حتى لا تنشغل بالغير ، فيشوش عليك ، والله يتولى هداك .

(٥) بمعنى : تعد طعامك بنفسك .

(٦) في المخطوطة ـ بعد «بيدك» : كلمة لا تقرأ .

والذين يقرؤون هذه الأوراق كثيرون[١] فربما يستعمل ذلك الغذاء من لا يلائم طبعه ، فيعاقبه الله .

هذا ، وإن انحصرت الأمزجة في أُمهات[٢] ، ولكن فيها دقائق وتفضيل لا يعرف إلاَّ بمشاهدة الشخص في الوقت ، ويحتاج الغذاء ـ بعد معرفة الشخص ـ إلى معرفة الزمان والمكان ، فهذا منعني أن أعين غذاء .

لكن الذي لنا تبيين : الأمر الكلي ، وهو : أن لا تستعمل إلاَّ الغذا الخفيف ، الملائم للطبع ، البطيء الهضم ، الشبع[٣] : الذي لا تحتاج معه التصرف[٤] .

---

(١) يقصد أنهم قد يقرؤون ، ولا يفهمون ما فيها ، فيستعملون الأدوية خطأ ، فيحدث الضرر ، ونسأل الله السلامة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

(٢) يعني : أصول .

(٣) بفتح الشين المشددة وكسر الباء : المشبع .

(٤) يكون مغذياً ، ومع ذلك : لا تحتاج معه إلى كثرة دخول الخلاء .

مطلب في بيان الأكل في الرياضة

وأما صورة الأكـل في الريـاضة[1] في أول العـزلة ، وفي الخلوة ، فهـو : أن تـأخـذ اللقمـة ، وتسمي الله سبحـانـه عليهـا بـذلـة وافتقـار ، وخضـوع وخشوع ، فـإذا ألقيتها في فمـك فـأكثـر مضغهـا جيـداً ، فـإذا ابتلعتهـا ، فاحمـد الله تعالى الـذي سـوغكهـا حمـداً تـامـاً في [حـال : بحضـور][2] ومـراقبـة وتـربص ، حتى تعلم أنهـا قـد استقـرت في فـم المعدة .

ثم خذ بعد ذلك لقمة أخرى ، تفعل فيها مثل الأولة .

هكذا ، حتى تنتهي إلى القدر الذي فيه غداؤك .

وكذلك شربك الماء مصاً[3] وتقطع من نفسك مراواً[4] .

---

(١) ما تريض به نفسك قبل دخول الخلوة .

(٢) هكذا في المخطوطة ، ولعل المقصـود : في حال مـلازمة لـك بحضور قلب مـع الله تبارك وتعالى .

(٣) كمـا قال رسـول الله (ص) : «مصوا المـاء مصـاً ، ولا تعبـوه عبـاً» . [رواه البيهقي في شعب الإيمان] .

(٤) وفي قـول رسـول الله (ص) الـذي رواه سمـويـه في «فـوائـده» . والبيهقي في شعب الإيمان ، «ابن القدح عن فيك ، ثم تنفس» إشارة إلى ذلك .

واعلم أن العطش من الشهوات الكاذبة : جربناه ، فوجدناه كذا ، وجربه غيرنا فوجده كذلك .

فعود نفسك أن تمسكها عن الماء ، وإن عطشت ، فإنك إن جاهدتها قليلاً : تنعمت بها كثيراً ، وتقيم ـ والله ـ الشهور الكثيرة ، نعم والسنين : لا تشرب فيها ماء : البتة ، ولا تشتهيه ، ولا يؤثر في مزاجك ولابدنك ، وتقنع الطبيعة بما تسهل من الرطوبات التي في الغذاء[1] .

ولهذا نستحب ، بل نوجب المجاهدة والرياضة في العزلة قبل الخلوة حتى يصير ذلك طبعاً وعادة ، ولا تحس النفس به ، كما لا تحس بالعادات ، فتدخل الخلوة عقيب ذلك : مستريحاً ، نشيطاً ، طيب النفس ، فارغا من المجاهدة ، خالي المحل من المكابدة ، مهيئاً مفرغاً لذكر المذكور ، والتجلي المطلوب ، والوارد الآتي عليك ، فإن المجاهدة في الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التي هي روحها[2] لأنها شغل في الوقت ، فتحفظ من ذلك جهدك ، وقدم العزلة ولا بد ، واجعل مجاهدتك فيها حتى تأنس بذلك ، واندرج منها إلى الخلوة المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء الله تعالى .

ومهما تكلفت شيئاً في خلوتك من : سهر ، أو جوع ، أو عطش ، أو برد ، أو حديث نفس ، أو وحشة ، فأخرج منها إلى عزلتك حتى تستحكم .

---

(١) يعني بإمتصاص ما في الأغذية من الماء .

(٢) يعني أن روح الخلوة : مجاهدة الشهوات ، وتكبد المشاق والمتاعب

صورة بيت الخلوة وحاله فيها وشروطها

ثم ليكن بيت خلوتك على ما أذكره ، ولتكن أنت على حسب ما نحده لك .

فأما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة ، فينبغي أن يكون بكل خلوة إن أمكن ، فهو : أن يكون ارتفاعه قدر قامتك ، وطوله قدر سجودك ، وعرضه قدر جلستك .

ولا يكن فيه ثقب ولا كوة أصلاً .

ولا يدخل عليك ضوء رأساً .

ويكون بعيداً من أصوات الناس .

ويكون بابه قصيراً ، وثيقاً في غلقه .

وليكن في دار معمورة فيها ناس .

وإن تمكن أن يبيت أحد بقرب باب الخلوة ، فهو أحسن .

وأما صورتك فيها ابتداء ، فهو أن تغتسل وتنظف ثيابك ، ولا بد من النية بالتقرب إلى المتوجه إليه : «لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم» .

ولا سبيل لكثرة الحركة فيها .

ولا تزد على الفرائض والركعتين والرواتب .

والقعود على طهارة .

واستقبال القبلة دائماً .

وإذا أردت الحاجة ، فليكن موضع خلائك بعيداً[١] : قريباً من خلوتك[٢] .

وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب ، فإنه يؤثر فيك تفريقاً[٣] زماناً طويلاً .

وليكن ماؤك لا يتغير عليك ، وإذا خرجت لحاجة : سد عينيك وأذنيك .

وليكن غداؤك معك في بيتك معداً ، وخلف باب بيتك محفوظاً .

ومن شروط هذه الخلوة ـ بل كل خلوة ـ إن قدرت ـ أن لا يعرف أحد أنك في خلوة أصلاً[٤] .

وإن كان لا بد أن يعرف ، فلا يعرف ذلك منك إلَّا أقرب الناس إليك[٥] في خدمتك ، ممن يجهل ما أنت عليه ، ولا يعرف ما تقصده .

وإنما يمنع من ذلك لتشوق نفسه إلى النفوس المتشوقة لخروجه : بماذا يخرج ؟ وهي علة كبيرة ، ونحن نحب تقريب الفتح

---

(١) بمعنى : لا تتبرز في خلوتك .

(٢) حتى لا تكثر الحركة والمشي .

(٣) لأن الإنسان إذا كان في مكان ، فهو مجتمع على نفسه : محاصر لها في الذكر فقط ، فإذا ما خرج ورأى الدنيا تفرق قلبه وتوزع تفكيره ، والله أعلم .

(٤) كزوجتك مثلاً أو خادمك .

(٥) حتى تكون السرية تامة بينك وبين ربك .

على الشخص ، وهذا يبعده ، فإنه لا سبيل إلى الفتح وفي النفس أثر .

فهذه صورة الخلوة المطلقة .

وجري فيها أشياء نبهنا عليها مما يحتاج إليها في الخلوات كلها : العامة والخاصة ، فلا تحتاج إلى تكراره في خلوة مقيدة .

والله المرشد .

وقد ذكرنا صورة ترتيب الفتح في رسالة «الأنوار» فلينظر هناك إن شاء الله تعالى .

خلوة الهدهد

تدخل الخلوة ، كما أرسم لك ، وتستعمل في غذائك قلوب الهدهد تسحقها وتسفها سفاً ، فإنك ترى عجائب .

ويكون ذكرك ﴿لا إله إلَّا الله رب العرش العظيم﴾[1] .

(1) وهي الآية التي حكى الله أن الهدهد قالها في سورة النمل ؛ الآية : ٢٦ .

الخلوة الصمدانيـة

أيامها ثلاثون يوماً ، لا نوم فيها : البتة .

ومهمـا نـام في هـذه الخلوة بليـل أو [فـطر][1] بنهـار ، فليستـأنف الخلوة من أولهـا : ينام فيهـا بالنهـار ، ويفطر بـالليل من غيـر شبع ، ولا يفطر بالنهار .

وإن اتفق أن يكـون في رمضـان فهـو أولى ،وإلاَّ ففي المحرم ، وذكرها : سورة الأخلاص[2] .

---

(١) في المخطوطة «فطر» .

(٢) وهي سـورة «صمد» ومن معـانيه : الـذي لا يأكـل ولا يشـرب ، ولا يحتـاج إلى أحـد ويحتاج إليه كل أحد ، ومن داوم عليها لزمه الشبع ، فـلا يحتاج إلى كثيـر أكل ، ومن شاء فليجرب .

خلوة القــرين

«ذكرها لي جماعة من إخـواني ، وأما أنـا فما عملت عليهـا ، من أجل الأسماء التي فيها»[1] .

قال القوم الذين أخبروني بهـا : يلبس لها كـل يوم ثـوباً جـديداً ، أربعين يوماً .

ويكفي الغداء : مرة خبزاً بزيت ، ومرة خبزاً بزبيب .

ولا يـزال يـذكـر هـذه الأسمـاء عقيب الصلوات الخمس ، وأكثـر الحالات : وهي :

«بهلطف ، سليـطيـع ، أسمـاطـون ، أطـون ، بهكش ، تهكش ، بوب» .

واعلم : أن صـورة الخلوة ، مـا ذكـرتـه لـك : ثم أنـه تختلف الحالات فيها على الإنسان بحسب أذكاره ، فإن الذكـر مع الاستعـداد ، هـو الداعي إلى الفتـح ، ولكن بمـا ينـاسب الـذكـر الـذي يكـون عليـه صاحب الخلوة .

---

(١) أعلمك بهذا أنها ـ والله أعلم ـ شيطانية لا رحمانيـة ، لأنه قـال لك «من أجـل الأسـماء التي فيها» .

وقد ادخلت مريداً لنا بذكر سهل بن عبد الله ، الذي أعطاه خاله ، وهو : «الله معي ، الله ناظر إلي ، الله شاهد عليّ» ففتح له به في أربعة أيام .

وأما أنا ففتح لي به في ربع ليلة .

وأدخلت شخصاً بيته علي «سبحان الله العظيم وبحمده» فرفع من ليلته .

ودخل بعض الشيوخ بذكر :

«لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير» .

ولزمه مدة ، ففتح له في التوحيد والتوكل ، فكان واحد عصره فيهما .

ووقفت على أسماء ، وأنا بالمسجد الأقصى ، فعرفتها : [خوطبت بها] .

وهي في الخلوة عجيبة ، وهي هذه :

«عنت وجود الروحانيات العلى ، للسبحات العظمى ، التي فتق بها الرتق . يا علي يا قيوم ، يا من أوجد الآباء العلويات متحركة ، والأمهات السفليات ساكنة ، بالصفة التي هي عين الموصوف .

يا من أدار القمرين حول مراكز تداويرهما ، وأدار الدورة الكبرى للسكون والفضل المبتغى ، المنطوق به على ألسنة الروحانيات العلى .

يا من نظر إلى من نظر إليه .

يا مذل الأعز ، يا قدوس يا أحد ، لك العز الأفخر ، والملك الأكرم ، والملكوت الأفخم ، أثر جلالك : الهيبة في القلوب ، وأنت

المحسان ، تنقل الأطوار والأدوار ، وتعلم ما سكن في الليل والنهار .

يـا عظيم : لا أعـظم[1] ، يـا كبيـر ، لا أكبـر[2] ، أنت المقصـود بكل همة ، والمسؤول بكل لسان .

وكذلك خلوة : «يا حي يا قيوم» عظيمة الفائدة .

وكذلك : «يا علي يا عظيم ، يا عليم يا حكيم» .

وما من ذكر إلاَّ وله نتيجة تخصه .

فـإذا فهمت كيفية حـالات الخلوة وصورتهـا ، فادخلهـا بـأي ذكـر شئت ، فإنه يعطيك ما في قوته[3] ولا بد .

ويكفي هذا القدر من التنبيه

ـ والحمد لله وحده ، ـ .

ـ وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ـ .

* * *

تمت الخلوة المطلقة ، وهو حسبي ، وحفيي .

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

(١ ، ٢) في القاعدة النحوية : أن حـذف ما يعلم جـائز ، لأنـه معلوم بالضـروة ، فقولـه لا أعظم و «لا أكبر» يعني : لا أعظم منك ، ولا أكبر منك ، وقـد يكون يـريد أن ينهـاك عن أن تذكر يا أعظم ويا أكبر ، وهذا هو المرجح ، والله أعلم .

(٣) أي ما في قوة الذكر ، والله تعالى أعلم .